

الدّين محفّز كبير على التفكير بالغد



«إنّ ديننا الإسلامي القيم يُطالبنا في أن نلبّي احتياجاتنا واحتياجات أمّتنا في حقول المعرفة وأنشطة الحياة كلّها.

ولن يتحقق ذلك بين عشية وضحاها، فعلى الرغم من الجهود التي بذلها النبيّ (ص) لبناء أُمّته خلال ثلاثة وعشرين عاماً، إلّا أنّ مستقبل الأُمّة بقي بحاجة إلى مَنْ يرعاه ويهتمّ بشؤونهم ويحافظ على استقامته، ويصل به إلى أهدافه المرجوّة.

إنّ الإسلام يعتبر ذلك واجباً عينياً يتعيّن على كلّ فرد في الأُمّة العمل على تلبية وتحيقّه من أجل التنمية التي تملأ الفراغ وتسدّ الحاجات الأساسيّة، حتّى لا تضطرّ الأُمّة إلى أن تبذل من عزّها وكرامتها في التبعية للآخرين.

فإذا قام أبناؤها بما يلبي تلك الحاجات سقط الواجب عنهم، وإلّا فهم مقصّرون، الأمر الذي يقتضي سعيّاً دؤوباً من أبناء الأُمّة لا سيّما شبابها الغيارى، ليس فقط في بناء حاضر مزدهر بل بإقامة

قواعد وأركان وأعمدة لمستقبل أكثر ازدهاراً: (السَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَتَيْسُّكُمْ أَمْ لَا) (المُلْكُ / 2).

إنَّ الأمم الحَيَّة هي التي لا تنام على أمجاد ماضيها القديم، ولا تقتنع بانجازات حاضرها الراهن، وإنَّما تخطُّ طَ لأن يكون مستقبلها أكثر رقيّاً وازدهاراً والأمم بأبنائها وتحديداً الشباب منهم.

إنَّنا إذا أردنا أن نلتزم اهتمامات الإسلام بالمستقبل فيمكن التقاط العناوين المستقبلية التالية:

1- إعتبار كلَّ يوم جديد:

في المأثور من أدعيتنا: "وهذا يومٌ حادثٌ جديدٌ، وهو علينا شاهدٌ عتيقٌ، إن أحسنَّا ودعنا بحمد، وإن أسأنا فارقنا بدم".

إنَّك بتدشينك يوماً جديداً إنَّما تفتح في كتاب وجودك صفحة جديدة، يمكن أن تصحِّح فيها أخطاء الصفحات الماضية، ويمكن أن تضيف فيها إلى رصيد ما مضى رصيذاً جديداً.. وبالتالي فالיום الجديد.. فرصة جديدة.. أمل جديد.. وأفق جديد.

2- التفكير بالمصير (الحياة الأخرى):

في الحديث: "إعمل لدنياك كأنَّك تعيشُ أبداً، وأعمل لآخرتك كأنَّك تموتُ غداً".

هنا موازنة واعتدال: تفكير بـ(الحاضر) دنياك التي تعيشها فعلاً، وتفكير بـ(الغد) حياتك الخالدة الأبدية، ومن الخطأ تغليب أحدهما على الآخر. فالدُّنيا ليست للمراوحة والجمود والانتظار.. هي (مزرعة الآخرة)، وهذا المعنى يستبطن الاهتمام بالمستقبل، فما دُمتَ تزرع يعني أنَّك تنتظر الحصاد في الموسم، والحصاد مستقبلي.. والمواسم مستقبلي..

قال رجل لـ(يحيى بن معاذ الرَّاَزي): إنَّك تحبُّ الدُّنيا!

قال يحيى: أخبرني عن الآخرة، أبالطاعة أم بالمعصية؟!

قال: بالطاعة.

قال يحيى: أخبرني عن الطاعة، أبالحياة تُنال أم بالممات؟!

قال: بالحياة.

قال: أخبرني عن القوت، أمن الدنيا هو أم من الآخرة؟!

قال: لا، بل من الدنيا.

قال: كيف لا أحبُّ دنيا فُدرَّ لي فيها (قوتٌ) أكتسب به (حياة)، وأدركُ بها (طاعة) وأنالُ بها (الآخرة)؟!

وفي الحديث: "بادرُوا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا (اشترُوا) ما يبقى لكم بما يزول عنكم".

3- مواصلة الأجيال وتناوبها:

لو كان الإسلام مهتماً بالحاضر وحده لما دعانا إلى الاهتمام بأولادنا وبناء الحياة من أجل أن ينتفع بها غيرنا، كما انتفعنا بما بناه من كان قبلنا، ولا دعانا إلى نقل التجارب والاهتمام (بالوصية).

إنَّ الوصايا دليل اهتمام بالمستقبل.. تأمل في هذه الوصية المستقبلية:

(وَوَصَّي بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَآ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (البقرة / 132).

أي أن يكون كلُّ جيل لاحق حاملاً للإسلام كما حمله أسلافه الصالحون.

وانظر إلى هذا الدعاء المستقبلي الذي دعا به شيخ الأنبياء إبراهيم (ع):

(ربِّنا واجعلنا مسلمين لك) (حاضراً ومستقبلاً)..

(ومن ذُرِّيَّتَنَا أُمَمٌ مَسْلُومَةٌ لَكَ) (تواصل الأجيال) ..

(وَأَرْبَاْنَا مَنَاسِكُنَا) (التي نعبدك من خلالها الآن وفيما يأتي) ..

(وَتُبِّعَ عَلَيْنَا) (في العاجل والآجل يوم نقف بين يديك) ..

إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .. (إبعث فيهم رسولاً مستقبلياً هو النبي محمد (ص) ليواصل المهمة).

إِنَّ أَيَّْةَ وَصِيَّةٍ يَتْرُكُهَا أَبٌ لِأَبْنَائِهِ تَعْنِي الْإِعْتِنَاءَ بِالْمُسْتَقْبَلِ، وَإِلَّا كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَتْرِكَ كُلَّ شَيْءٍ وَرَاءَ ظَهْرِهِ رِيْشَةً فِي مَهَبِّ الرِّيحِ.

4- التدارك والاستدراك والإصلاح وتعويض ما فات:

إِنَّ مَفْهُومَ (القضاء) في العبادات فيه نظرة مستقبلية، لأنَّه تدارك لما فات في الماضي، وكلُّ (استغفار) و(توبة) و(ندم) و(كفارة)، هو استدراك لما انقضى، وكلُّ مراجعة للنفس ومحاسبة لها وتراجع عن أخطائها السالفة، هو حركة باتجاه المستقبل.

5- الإدِّخار والإقتصاد:

مُخْطِئٌ مَنْ يَتَصَوَّرُ أَنَّ الدِّينَ لَا يُشْجِصُ عَلَى الْإِدِّخَارِ وَالْإِقْتِمَادِ تَحَسُّبًا لَطَوَارِئِ الْمُسْتَقْبَلِ، فَكَمَا يَنْبَغِي أَنْ لَا تَتَعَلَّقَ بِالْدُّنْيَا فَتَتَصَوَّرَ أَنَّ الْغَدَ مِنْ عَمْرِكَ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تَدْخُلَهُ فِي حَسَابِكَ (للتوازن حياتك وتعتدل).

انظر كيف يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنُ الْإِهْتِمَامَ بِمُسْتَقْبَلِنَا الْاِقْتِصَادِي:

حينما رأى ملك مصر منامه سبع بقرات سمان يأكلهن سبعٌ عجاف وسبع سنبلات خُضر وأخر يا بسات، أحوال تفسير أو تأويل منامه إلى يوسف (ع)، العالم بتأويل الأحلام، فماذا قال: (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوْهُ فِي سُودٍ مُّضَيٍّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَزْكُلُونَ *)

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْمِلُونَّ (يوسف/ 47-48).

إنَّه درس في الادِّخار حتَّى لا يتعرَّض الناس إلى المجاعة، ولو لا الاهتمام بالمستقبل والتحسُّب لما يخبِّرُوه الغد لما قال يوسف: (فما حَمَدُكُمْ فَدَرُّوهُ فِي سُنْدُبُلِهِ).

6- ثقافة الدِّعاء تُعلِّمنا العناية بالمستقبل:

في الدعاء القرآني: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادِّكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) (الكهف/ 23-24).

لا يعني هذا صرفاً عن الاهتمام بالمستقبل، بل نهياً عن الركون إلى طول الأمل ونسيان الموت والغفلة عن ذكر الله الذي بيده (اليوم والغد والأمس).

وفي الدعاء: "اللَّهُمَّ اجعل الحياة زيادةً لي في كلِّ خير، والوفاة راحةً لي من كلِّ شرٍّ". وفيه: "اللَّهُمَّ اجعل غدي وما بعده أفضلَ من ساعتِي ويومي". وفيه: "اللَّهُمَّ اجعل خيرَ أعمالي خواتيمها، وخيرَ أيامي يومَ ألقاك". وما إلى ذلك.

7- التحذير من التراجعات المستقبلية:

كان النبي (ص) قد لفتَّ نظر المسلمين أنَّهم سيتراجعون في المستقبل، وحذَّره من الانقلاب على الأعقاب، وكلَّ حديث فيه (سيأتي زمان على أمّتي)، هو قراءة مستقبلية (نبوءة).. وهو تحذير من النكوص والانكفاء والتراجع، ممَّا يعني أنَّ الإسلام يريد (تطوير) المستقبل والارتقاء به، ففي الحديث:

"المغبون (الخاسر) مَنْ تَسَاوَى بَوْمَاهُ (حاضره وغده)، والمغبوط (المحظوظ) مَنْ كَانَ غَدُهُ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِهِ، والملعون مَنْ كَانَ غَدُهُ أَسْوَأَ مِنْ يَوْمِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ (إِلَى الزيادة) فَهُوَ إِلَى نَقْصَانٍ".

أرأيتَ العملية التصاعدية التي يُطالب بها الإسلام؟!

إنَّ الحثَّ على القيام بأعمال خيريَّة، فيها برٌّ وفيها صلاح وفيها نفع، هو واحد من اهتمامات الإسلام بالمستقبل أيضاً، فعندما تقرأ الحديث: "يموتُ الرَّجُلُ وينقطعُ إلَّا من ثلاثة: علمٌ يُنتَفَعُ به، أو صدقةٌ جاريةٌ، أو ولدٌ صالحٌ يدعو له"، فإنَّك تعرف قيمة الاهتمام الإسلامي بالمستقبل، وترجمة ذلك: فكَّر قبل أن تُغادر الحياة كيف تبقى فيها حتَّى وأنتَ خارجها، إمَّا بعلم يستفيد منه المتعلِّمُون بعدك (والمراد الكتب النافعة).. أو المَدَّة الجارية بكلِّ أنواعها، كالأوقاف والنذور، والولد الذي تتعب اليوم في تربيته سيُحافظ على مستقبلين: مستقبله هو كونه تاديب واستقام، ومستقبلك أنتَ لأرثه ذخيرتك إلى الآخرة.

من ذلك كلاًه نستنتج أنَّ دواعي الإسلام للاهتمام بالمستقبل هي:

- 1- تعويض خسائر الماضي والحاضر.
 - 2- تحقيق ما لم نوفِّق لإنجازه في الماضي والحاضر.
 - 3- المواصلة والاستمرار واستكمال المشوار.. زخم الأمل.
 - 4- الإنماء والتطوير والإستنزادة والتوسعة.
 - 5- المستقبل سيكون - عملاً قريباً - حاضراً، فهو من مسؤولياتنا أيضاً، فمَنْ لم يعتبر المستقبل من حاضره فهو ممَّن لا يريد أن يغادر ماضيه.
 - 6- الوصول إلى الأهداف الكبرى وتحقيق الدرجات العُليا في الخطوة عند الله والقُرب منه واكتساب المقام المحمود عنده.
- الاهتمام بالمستقبل إذاً هو مسؤوليَّة تضامنية مشتركة، فهو من جهة مسؤولية الفرد نفسه، وهو من جهة مسؤوليَّة الأسرة باعتبارها الحاضنة لأفرادها، وهو مسؤولية المدرسة باعتبارها المؤهلة للجيل الجديد، وكذلك هو مسؤوليَّة المجتمع باعتباره كلاً متكاملاً متكافلاً، كما هو مسؤوليَّة الدولة باعتبارها الراعي الكبير والمسؤول الأوَّل عن شؤون الرعية والآخذ بيدها نحو الآفاق العالية.►

